فهرس المخطوطات العربية
في دار الوثائق القومية السودانية

د. حسين بركات(*)

يعد إصدار فهارس المخطوطات جزءًا أساسيًا من نشاط معهد المخطوطات العربية منذ إنشائه سنة ١٩٤٦م حتى اليوم ؛ وذلك إيمانًا من القائمين على إدارته بأهمية فهارس المخطوطات، واعتبارها الوسيلة المثلى للتعريف بها وبأماكن وجودها، والوقوف على أوصافها وموضوعاتها ، حتى تَسهُلَ الإفادة منها بدرسها وتحقيقها ونشرها وتعميم نفعها.

وفى الآونة الأخيرة اتسع نشاط المعهد؛ فأصدر عددًا من الفهارس التى كشفت عن كثير من نفائس المخطوطات ونوادرها فى عدد من مراكز المخطوطات بمصر، مثل: مكتبة جامعة الإسكندرية، ومكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج، ودار الكتب بطنطا. وامتد نشاط المعهد إلى تونس، فأصدر فهرس مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة والبيزرة فى دار الكتب الوطنية بتونس، وإلى السودان فأصدر فهرسًا منتقىً للمخطوطات العربية فى دار الوثائق القومية السودانية.

وقد حَوَى الفهرس الأخير توصيفًا لمائة وستين مخطوطًا فى فنون مختلفة، جاءت مرتبةً هجائيًا، وقام على فهرستها لجنة من المفهرسين العاملين فى دار الوثائق القومية السودانية: برئاسة الأستاذة إخلاص مكاوى محمد (مدير إدارة البحوث والمخطوطات)، وإشراف الدكتور على صالح كرار (أمين عام الدار) .

وسوف تدور الملاحظات حول منهج الفهرسة الذى وضعته اللجنة، وحددت بطاقته والعناصر الأساسية التى تشتمل عليها. فقد ذكرت رئيسة اللجنة فى مقدمة الفهرس أنه «يمكن إجمال عناصر البطاقة المعتمدة فى: العنوان، والمؤلف، وأول المخطوطة وخاتمتها، والناسخ، وتاريخ النسخ، والموضوع»، كما ذكرت ـ أيضًا ـ أنه «اعتُمِد فى التحقق من عناوين المخطوطات وأسماء المؤلفين على كتب الببليوجرافية العربية فى هذا الشأن... ».

لكننا إذا ألقينا نظرة سريعة على هذا الفهرس نجد أن اللجنة لم تلتزم بالمنهج الذى حددته لنفسها؛ فكثير من المخطوطات ذُكرت عنواناتها دون مؤلفيها، ودون الإشارة إلى كونهم مجهولين، ولو كان ترك الإشارة إلى كون المؤلف مجهولاً منهجًا

(*) مدرس فى أكاديمية الفنون ـ مركز اللغات والترجمة ـ قسم اللغة العربية .

اتبعته اللجنة لسبب ما، فإنه يؤخذ عليها ـ أيضًا ـ أنها لم تُشر إلى ذلك فى مقدمة الفهرس ، وأنها نصّتْ فى بعض المواضع على أن الكتاب مجهول المؤلِّف، كما سيبِين من التمثيل فيما بعد.

أما فيما يتصل بالاقتطاف من أول المخطوط وخاتمته، فقد رأينا أمرًا عجبًا، فبعض المخطوطات يُقتطف من أولها وآخرها، ويكون الاقتطاف نافعًا مجديًا، وبعضها يُقتطف من أولها وآخرها، ويكون الاقتطاف عشوائيًا لا يحقق وظيفته، وبعضها يُقتطف من أولها ولا يقتطف من آخرها، وبعضها يقتطف من آخرها ولا يُقتطف من أولها، وبعضها لا يُقتطف من أولها ولا من آخرها.

أما التوثيق الذى أشارت إليه اللجنة فنلحظ فيه تخبطًا ظاهرًا؛ فبعض المخطوطات وثّق المفهرسون عنوانها ومؤلفها وموضوعها وأطالوا فى ذلك حتى أسرفوا، وبعضها لم تُذكر كلمة واحدة بشأن توثيقها، وبعض الحواشى كان حذفها أولى من إثباتها لعدم جدواها. والتوثيق يكون ـ أحيانًا ـ فى صلب الفهرس ومتنه، وأحيانًا أخرى يكون فى الحاشية، وبعض التوثيق يكون تكرارًا يجب حذفه ، ويكون بعضه تطويلاً دون جدوى.

والخلاصة: إن الناظر فى الفهرس يلحظ ـ بيُسرٍ ـ اضطرابًا وعيوبًا منهجية ظاهرة. وسوف أمثل الآن وأفصل ما أجملته:

أولاً : نقص البيانات، ويمثلها أمران :

١ – عناوين بدون مؤلف دون إشارة إلى ذلك:

من ذلك: «شرح رسالة ابن أبى زيد القيروانى»، ص٩١، و«شرح مقامات الحريرى»، ص٩٧، و«شرح المقدمة الآجرومية»، ص٩٧، و«شرح المقدمة العشماوية»، ص٩٩. و«فوائد التجريد شرح الجوهر الفريد فى عقائد التوحيد»، ص ١١٣، و«فوائد فى علم الفلك»، ص ١١٤، و«كتاب الإبانة النورانية فى تاريخ الختمية»، ص١١٧، و«كتاب فى علم الطب»، ص١١٨... وغير ذلك كثير.

وقد ذكر المفهرسون فى موضع فى ص ٦٥، وفى موضعين فى ص١٢٠ عبارة: «كتابٌ مجهولٌ»، والصواب : «كتابٌ مجهولُ المؤلِّف»؛ لأن الكتاب ليس مجهولاً، إذْ إنهم يصفونه، ويضعون بإزاء بعض العنوانات علامة استفهام، شكًا فى صحة العنوان، أو للجهل بمؤلفه، ومثال ذلك : ص ١١٩ : «كتابٌ فيه تراجم للمتصوفة ؟ »، و «كتابٌ فيه ذكر نبى الله يوسف ؟».

٢ - عدم ذكر عدد الأوراق لبعض المخطوطات، مثل: «ترقية الحذاق فى علم العناصر والحروف والأوفاق»، ص ٥١، و «شرح رسالة ابن أبى زيد القيروانى»، ص٩١.

ثانيًا : الاقتطاف من أول المخطوط وآخره:

قضية الاقتطاف من مادة الكتاب المفهرَس ضرورية جدًا؛ إذ عن طريقها تتحدد الملامح المميزة للنسخة. وتعد بداية المخطوطة ونهايتها هدفًا رئيسًا للمفهرس عند الاقتطاف؛ لأنهما تشملان معلومات مهمة عن: العنوان والمؤلف والموضوع وفهرس الكتاب ومصادره ورواته، وعلاقته بغيره إن كان شرحًا أو حاشية أو اختصارًا .... إلخ، وسبب تأليفه، وتاريخ الفراغ من تأليفه، وتاريخ نسخه ومكانه، واسم ناسخه وزمن نسخه باليوم والشهر والسنة، والسماعات والتملكات والوقف... وغير ذلك.

لذلك ينبغى ألا يكون الاقتطاف عشوائيًا دون منهج موصِّل إلى الغاية منه[١] .

وعند تطبيق هذا الإطار النظرى على الفهرس موضوع البحث، سنجد ـ كما ذكرنا ـ أشتاتًا وألوانًا ، منها :

- اقتطاف جيد من أول المخطوط وآخره حقّق غرضه وأدى وظيفته، ومثاله: «الأجوبة الركينية»، ص٣٨، و«البهجة السنية على متن السنوسية»، ص٤٣، و«الجواهر الزكية فى حل ألفاظ العشماوية»، ص٥٥.

- اقتطاف من الأول والآخر لكنه لم يُؤدِّ وظيفته، ومثاله: «شرح المقدمة العشماوية»، ص٩٩ ، أولها : «... الناس فى موضع الوقوف ... ».

وآخرها «اللهم اغفر ذنبه، ولوالديه، وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات». فهذا الاقتطاف عشوائى لا يتضمن شيئًا يميز ملامح النسخة، والدعاء فى آخرها قد يكون من كلام الناسخ لا المؤلِّف. والصحيح أن يقتطف من كلام المؤلف بمقدار جملتين.

ومثاله أيضا : «نسب عبد الله التركى»، ص ١٣٩ : أولها : «مات شهيدا .... وأولاده بعده على هذا المنوال إلى الاشتغال بالتجارة ... ».

---

(١) عن الاقتطاف وأهميته، انظر : عبد الستار الحلوجى : المخطوط العربى ، ط٢. جدة: مكتبة مصباح ، ١٩٨٩م، ص٢٦٦ : وعابد سليمان المشوخى: فهرسة المخطوطات العربية ، الزرقاء (الأردن) ، مكتبة المنار ، ١٩٨٩م، ص٣٠ : ومعهد المخطوطات العربية : فن فهرسة المخطوطات ، تنسيق وتحرير فيصل الحفيان ، القاهرة ، ١٩٩٩م، ص ١٣٧-١٥٢ : ومجلة المورد : المجلد ٥ ، العدد ١ ، سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

وآخرها : «تزوجها موسى .... وهى أم .... وإبراهيم ». فهذا الاقتطاف خلا من أيّة معلومة مفيدة تتصل بالبيانات الأساسية التى تتجه إليها عين المفهرس .

- الاقتطاف من الأول وعدم الاقتطاف من الآخر :

ومثاله : «فتح الأقفال بشرح تحفة الأطفال»، ص١١١، و«فتح المجير لكشف الجهل الحقير»، ص١١٣، و«قصيدة بدء الأمالى»، ص ١١٥، و«كتاب مجهول»، ص١٢٠، و«كنوز الجواهر النورانية فى قواعد الطريقة الشاذلية»، ص ١٢٢، وغير ذلك فى صفحات: ١٢٣، ١٣٤ ، ١٤١، ١٤٥، ١٤٦.

- الاقتطاف من الآخر وعدم الاقتطاف من الأول:

مثاله : «شرح مقامات الحريرى»، ص٩٧.

- عدم الاقتطاف من الأول والآخر:

ومثاله: «الاقتصاد شرح الكوكب الوقاد»، ص ٤٠، و«تائية السبكى»، ص ٤٥، و«ديوان العرف العطير والروض المطير»، ص٧٥، و«شرح الرحبية»، ص ٩١، و«شرح نظم الشيخ موسى»، ص١٠٢ .

ثالثًا : أما فيما يتصل بالتوثيق الذى يعدُّ عماد فهرسة المخطوطات وأساسها، فقد لاحظنا على هذا الفهرس ما يلى:

- أحيانا يسرف المفهرسون فى التوثيق وذكر مصادره، ومثاله ص ٦٨ : «حلية اللب المصون بشرح الجوهر المكنون»، للدمنهورى (ت ١١٩٢هـ)، فقد أسرف المفهرسون فى ذكر مصادر ترجمة المؤلف والشارح، وما يتصل بالشرح وأصله من تعريفات أو أوهام وقعت بشأنهما، حتى امتلأت الحاشية ومتن الصفحة.

ومثله فى ص ٣٧ : «إجازة كبرى فى الطريقة الختمية»، وص ٤١ : «الإيضاح فى المناسك»، وغيرها فى صفحات: ٤٨، ٦٩، ٨٧، ١١١، ١١٢، ١١٥.

- قد يُذكر مصدرٌ واحد للتوثيق، كما فى: «الإلمام بمسائل الإعلام»، ص٤٠، و«البهجة السنية على متن السنوسية»، ص٤٣.

- وقد لايُذكر أى مصدر، وهذا كثير شائع فى جنبات الفهرس، ومثاله: «النور الباسم على نفحات النسائم»، ص ٨٢، و«عقد صلح»، ص ١٠٩، و «العهد الريانى فى بيان سلسلة الجيلانى»، ص ١٠٩.

- ومما يتصل بالتوثيق - أيضًا - بيانُ المفهرسين للعلاقات والوشائج القائمة بين الكتب فى بعض المواضع دون بعض، وهذا ما أسماه الدكتور كمال عرفات نبهان بـ (التفارُع[1])، فمثلا عند ذكر «الاقتصاد شرح الكوكب الوقاد»، ص ٤٠ - عرَّفوا بـ «الكوكب الوقاد»، وأنه منظومه للسخاوى (ت ٦٤٣هـ)، وعند ذكر «الإلمام بمسائل الإعلام»، ص ٤٠ - عرّفوا بـ«الإعلام بقواطع الإسلام »، لابن حجر الهيتمى، وعند ذكر «الجوهر الفريد شرح بلغة المريد»، ص ٥٧ - عرّفوا بـ «بلغة المريد»، وعند ذكر «حاشية على شرح الشنشورى على متن الرحبية»، ص ٥٩ - عرّفوا بـ «حاشية الباجورى» وبـ «متن الرحبية»، ومثل هذا كثير جدًا فى صفحات:

٦٠، ٦١، ٦٩، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١١٢، ١٢١، ١٢٤ .

وإيضاح العلاقات بين الكتب أمرٌ محمود، وهو من مهمة المفهرِس، ودليلٌ على تسلّحه بالثقافة التراثية الكافية، إلا أن اللجنة لم تتبع منهجًا موحدًا فى هذا الصدد ؛ فمثلاً كتاب «فوائد التجريد شرح الجوهر الفريد فى عقائد التوحيد »، ص ١١٣ - لم تُعرِّف اللجنة المفهرسة بـ «الجوهر الفريد» المشروح، بخلاف ما فعلت مع كل المتون المشروحة، مثل: «الرحبية»، و «السراجية»، و «الجوهر المكنون»، و «ورد السحر»، و «الوسيلة» و «النفحة القدسية»، و «منقذة العبيد».

- ولم تتبع اللجنة المفهرسة منهجًا موحدًا فى موضع التوثيق ومصادره ؛ فجاء أكثره فى الصلب والمتن، ومثاله : التعريف بالمتون السابقة فى الملاحظة الفائتة، وجاء بعضه فى الحاشية كما فى التعريف بـ «رسالة الوضع»، لعضد الدين الإيجى، ص ٦٣ .

- ومما يتصل بالتوثيق تكرارُ معلومات فى الحواشى يجب حذفها، ومثاله: فى ص٩٠ حاشية (٣)؛ ذكروا فيها أن «وفاة الصبان صاحب البسملة المشروحة هى - أيضًا - فى عام ١٢٠٦ هـ»، وفى الحاشية السابقة رقم (٢) عرّفوا بـ « الصبان» وذكروا تاريخ وفاته .

وكان الأَوْلى والأحرى بهم أن يذكروا لنا أن للصبان رسالتين على «البسملة»: صُغرى وكُبرى، ولأيهما يكون هذا الشرح [2] .

- وفى شرح الرحبية، ص ٩١ أغفل المفهرسون ذكر وفاة الشارح «سبط المارديني»، وهى سنة ٩٠٧ هـ.

---

(١) التجارب العربية فى فهرسة المخطوطات ، ص٤٤٠.

(٢) هدية العارفين ٢/٣٤٩.

- وفى ص ١٣٠ حاشية (١) ذكر المفهرسون حاشية تتصل بـ «المقدمة الجزرية»، والاقتطاف من آخرها، نصّها :

على النّبى المصطفَى وآلِه وصحبِه وتابعى منوالِه

ولكن الصواب أن هناك بيتًا آخر به تُختَم به المقدمة الجزرية ، وهو قوله :

أبياتها قافٌ وزايٌ فى العددْ من يُحسنِ التجويدَ يظفر بالرشدْ

- وفى ص ٥٩ «حاشية على ألفية ابن مالك»، لأحمد بن زينى دحلان (ت١٣٠٤هـ)، وصواب العنوان أنه : «الأزهار الزينية فى شرح متن الألفية فى النحو»، وهو شرح على الألفية، وليس حاشية[١] .

والكتاب مطبوع ثلاث مرات[٢] .

- ومما يتصل بإشكالات التوثيق - أيضًا - أن المفهرسين علقوا فأطالوا فى ص ٩٨ حاشية (١) حول «شرح المقدمة الآجرومية»، وهذه الإطالة لم تفد الحاشية إلا شكوكًا وأوهامًا، أما الراعى الذى دارت الحاشية حوله، فقد نُسب إليه شرحان، الأول : «عنوان الإفادة لإخوان الاستفادة »، والثانى : «النقل بالمفهومية فى حل ألفاظ الآجرومية»، ومن كل شرح منهما نسخة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة[٣].

رابعًا : الترتيب الموضوعى :

رغم أن اللجنة التزمت فى كثير من المخطوطات بوضعها تحت فنونها الصحيحة، إلا أن بعض المخطوطات وضعت فى غير فنونها، ومن ذلك: وضع كتاب «التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح»، ص ٤٨ تحت فن الفقه، والصواب أنه حديث، ووضع «حاشية على ألفية ابن مالك»، ص ٥٩ تحت الفقه، والصواب أنها نحو - كما هو ظاهر - ووضع «شرح الرحبية»، ص٩١ تحت فن عبادات، والصواب أنه ميراث، كما فى «حاشية على شرح الشنشورى على متن الرحبية»، ص ٦٢ و «شرح السراجية»، ص٩٢، ٩٣، و«شرح المقدمة الآجرومية»، ص٩٧ تحت البلاغة، والصواب أنه نحو، و «شرح المقدمة العشماوية»، ص ٩٩ تحت الشعر، والصواب أنه فقه، و «فتح الأقفال بشرح تحفة الأطفال»، ص١١١ تحت النحو، والصواب أنه تجويد، و «متن السنوسية»، ص١٢٧

---

(١) هدية العارفين ١/١٩١: ومعجم المؤلفين ١/١٤٣.

(٢) انظر : معجم المطبوعات العربية والمعربة ص ٩٩٠ ؛وفهرست الكتب النحوية المطبوعة ص ٢٩ .

(٣) الأول محفوظ تحت رقم ٣٣٩ نحو ، والثانى تحت رقم ٥٠٠ نحو عن النسخة بدار الكتب المصرية رقمى ١٨٣٧ نحو. انظر فهرس المخطوطات المصورة (النحو) القسم الثانى ص ٢٢٧ . ٣٣٣ .

تحت الفقه، والصواب أنه توحيد، وكذلك فُعل فى نسختين أُخريين من المتن نفسه، كذلك وضعت نسخة من «المقدمة الجزرية»، ص ١٣٠ تحت الشعر، ونسخة أخرى فى ص ١٣١ تحت الأدب، والصواب أنهما تجويد، ووُضِعت «منظومة الكسور»، ص ١٣٥ تحت النحو، والصواب أنها رياضيات .

وبالجملة فإن هذا الفهرس ينقصه الكثير من التوثيق والمنهجية والخبرة التراثية اللازمة للمفهرس، أو ما أسموه بـ «ثقافة المفهرس» [١].

* * *

(١) فن فهرسة المخطوطات : مدخل وقضايا، ص١٨٩ - ٢٣٤، بحث للمرحوم الأستاذ الدكتور محمود محمد الطناحى.

المراجع :

١ - التجارب العربية فى فهرسة المخطوطات تنسيق وتحرير فيصل الحفيان، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٨م.

٢ - فن فهرسة المخطوطات: مدخل وقضايا، تنسيق وتحرير فيصل الحفيان، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٩م.

٣ - فهرست الكتب النحوية المطبوعة، عبد الهادى الفضلى، الزرقاء (الأردن)، مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٤ - فهرسة المخطوطات العربية، عابد سليمان المشوخى، الزرقاء (الأردن)، مكتبة المنار، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٥ - فهرس المخطوطات المصورة (النحو - القسم الثانى)، عصام الشنطى، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٩م.

٦ - المخطوط العربى، عبد الستار الحلوجى، الرياض، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٧ - معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٨ - معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إليان سركيس، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ .

٩ - ملاحظات فى قواعد فهرسة المخطوطات العربية، عبد الكريم الأمين، المورد، مج ٥، ع١، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

١٠ - هدية العارفين إسماعيل باشا البغدادى، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.